Journal home page: http://journals.lagh-univ.dz/index.php/ssj
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/305

مجلة العلوم الاجتماعية
المجلد 17 / العـدد 01 / مارس 2023 / ص ص 83 - 93

قراءة العنف في عنوان رو اية الأزمة

Reading violence in the title of the crisis novel

ربيعة حليتيم [1] ، سليم كرام [2]

1 مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها - جامعة بسكرة (الجزائر) ، Rabiaa.halitim@univ-biskra.dz

2 مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها - جامعة بسكرة (الجزائر) ، s.kiram@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2021/06/03 تاريخ القبول: 2023/03/09 تاريخ النشر: 2023/03/31

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على تيمة العنف في عنوان رواية الأزمة، حيث أصبح العنف سمة ملازمة لبعض النتاجات الروائية والسبب في ذلك المرحلة التي مرت بها الجزائر في التسعينات، إلا أنّ هذا العنف كان محفزا إيجابيا، ودافعا قويا لإغناء الساحة الأدبية بأعمال كان لها الدور الفعال في تسجيل بشاعة الأحداث وتصوير العنف المسلط على الشعب الجزائري.

حمّل الكاتب الجزائري نفسه مسؤولية التعبير عن بشاعة المجازر التي كانت تحدث في تلك الفترة من خلال أعماله الابداعية مركزا في ذلك على العنوان باعتباره أهم العتبات النصية التي تواجه القارئ وتستفزه للغوص في أعماق النص وفهم دلالاته، فجاءت تلك عناوين تلك الأعمال ناطقة بكل ما كان يحدث من وقائع ومجازر دموية خلال العشرية السوداء.

كلمات مفتاحية: عنف، عنوان، رواية الأزمة.

ABSTRACT:

This study seeks to shed light on the theme of violence in t the Algerian narrative title, as violence has become an inherent sign of some fictional works and the reason for that stage is the stage that Algeria wants through in the nineties hover this violence was a positive catalyst and a strong motivation to enrich the literary scene with works that had an effective role in recording the ugliness of events.

The Algerian writer held himself responsible for expressing the ugliness of the massacres that were taking place during that period, focusing on the title as it is the most important textual threshold facing. the reader and provokes him to delve onto the depths of the text and, understand its significance.

Keywords: Violence, Title, A novel of the crisis

1- مقدمة:

لقد مرت الجزائر في التسعينات بمرحلة تاريخية عصيبة، تفجّر فيها العنف وأريقت الدماء، حيث شهد فيها الشّعب الجزائري أقصى أنواع التنكيل والترهيب والخوف، غير أنّ هذا العنف والتأزم كان محفزا إيجابيا، ودافعا قويا لإغناء الساحة الأدبية بأعمال روائية كان لها الدور الفعّال في التعبير عمّا تعرض له الشعب الجزائري من قتل واغتصاب وتعذيب وعنف مجسدة للواقع الجزائري المظلم بكل تناقضاته ومآسيه، فالروائي الجزائري لم يكن بمنأى عن حركة العنف التي كانت تحدث في المجتمع بل أخذ على عاتقه مسؤولية التعبير عمّا كان يقع أمامه من مجازر، فقد كان شاهد عيان على تلك الأحداث المأساوية التي عاشتها الجزائر على مدار عشرية كاملة، حيث راح يصور هموم الناس ويبين معاناتهم داخل المجتمع وهذا ما نلمسه في عناوين أعمال الكثير من الأدباء الجزائريين، ولكن هل استطاع العنوان الروائي التعبير عن العنف المسلط على الشعب الجزائري؟

- المؤلف المرسل: ربيعة حليتيم

doi: 10.34118/ssj.v17i1.3176
http://journals.lagh-univ.dz/index.php/ssj/article/view/3176

ISSN: 1112 - 6752 | رقم الإيداع القانوني: 66 - 2006 | EISSN: 2602 - 6090

2- العنف:

2-1- مفهوم العنف:

هو سلوك يعبرّ عن حالة انفعالية تنتهي بإيقاع الأذى أو الضرر بالآخر سواء كان فردا أو شيئا، وسواء تمثل في الإيذاء البدني أو الهجوم اللفظي أو تحطيم الممتلكات، وقد يحصل إلى حد التهديد بالقتل أو القتل (أبو زيد، 2008، صفحة 19). فالعنف كل سلوك يحدث ضررا ماديا أو لفظيا، و هو« يشمل ارتفاع الصوت والخشونة في المحاورة كما يشمل استخدام السلاح والبطش والاضطهاد، وهو عكس المسالمة » (الغرباوي، 2009، صفحة 43)..

العنف هو ممارسة القوّة أو الاكراه ضد الغير عن قصد، وعادة ما يؤدي ذلك إلى التدمير أو إلحاق الأذى والضرر المادي أو الغير المادي بالنفس أو الغير (أبو زيد، 2008، صفحة 19). فكل سلوك يؤدي إلى ضرر مادي أو نفسي يُعَدُّ عنفا يجب محاربته والحد منه.

يعرفه علما الاجتماع :« بأنه فرض شيء ما بالقوة لم يستطع فرضه بغيرها أو أنه عبارة عن الممارسات التي تضمن استخداما فعليا للقوة لتحقيق هدف عجز مرتكبوها عن الوصول إليه بغيرها » (بلعبدي ، 2019، صفحة 90)، فالعنف هو وسيلة تستخدم للحصول على الشيء المراد.

كما يعرفه علماء النفس: «بأنه نمط من أنماط السلوك ينتج عن حالة إحباط ويكون مصحوبا بعلامات التوتر، وتحتوي على نيّة مُبَيَتَة لإلحاق ضرر مادي أو معنوي بكائن حي » أي أن العنف مرتبط بسلوك الإنسان يحدث نتيجة مؤثرات نفسية تهدف إلى إلحاق الأذى بالآخرين (بلعبدي ، 2019، صفحة 90).

2-2- أشكال العنف:

يأخذ سلوك العنف عدة أشكال نذكرها كما يلي (أيت حمود، 2011، صفحة 16):

العنف المادي (الجسدي): ويشمل كل السلوكيات التي تمارَس باستخدام الحركة الجسدية في الاعتداء على الآخرين أو الأشياء مثل الضرب والرفس والشد والدفع والتكسير.

العنف اللفظي: وهو ما يتوقف عند حدود الكلام، ولا تكون مشاركة الجسد الظاهرة فيه أكثر من ذلك، مثل شتم الآخرين ووصفهم بصفات سيئة، أو مناداتهم بما يكرهون، أو اتهامهم بالسوء أو مخاطبتهم بصوت صارخ .

العنف النفسي: ويشمل التصرف بشكل يعبّر عن الاحتقار للآخرين، أو السخرية منهم أو توجيه الانتباه إلى إهانة تلحق بهم.

لقد ذكرت الباحثة "بلعبدي نبيلة" في مقالها المعنون ب " تجليات مظاهر العنف في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية أشباح المدينة المقتولة ل "بشير مفتي" أنموذجا" أنواع اخرى للعنف متمثلة في (بلعبدي ، 2019، صفحة 91):

العنف السياسي: يعرفه "الشريف حبيلة "على أنه : العنف الذي يوجهه النظام إلى المواطنين أو إلى جماعات أو عناصر معينة و ذلك لضمان استمراره، وتقليص القوى المعارضة والمنازعة له، ويمارس النظام العنف من خلال أجهزته القهرية كالجيش والشرطة، والمخابرات والقوانين الاستثنائية أي أن السلطة تستعمل العنف باستخدام وسائلها القهرية ضد المواطنين لضمان بقائها والإطاحة بكل من يخالفها.

العنف الإرهابي: الإرهاب شكل من أشكال العنف، تعددت واختلفت تعاريفه :يعني استخدام العنف هو التهديد باستخدامه، قصد إثارة الفزع ونشر الرعب باستخدام الوسائل التي تتراوح بين الاغتيالات وتفجير القنابل، والهجوم المسلح على المنشآت والأفراد واختطاف الأشخاص، الارهاب هو عمل إجرامي يقوم على التهديد باستخدام الوسائل العنيفة والوحشية بهدف نشر الخوف والرعب في نفوس من يقف ضده.

العنف الثوري: يعرف بأنه : عمل من أعمال العنف، يتخذ صورة نضال مسلح يقوم به جانب من الشعب في وجه حكومته خروجا على قوانينها، مما يعرقل ممارستها لسيادتها. والثورة وضع قانوني يعتبر وسط بين الانقلاب والعصيان والتمرد من ناحية، والحرب الأهلية من ناحية أخرى، ففي الحالة الأولى يقوم بانقلاب من رجال الحكومة أو الجيش، وتنتهي آثاره إلى طبقات الشعب، أما الثانية يقوم بها قطاع من الشعب، يمثل في كثير من الأحيان طبقة شعبية أو مقاطعة من إقليم الدولة يحول الثورة إلى ما يعرف بالحرب الأهلية.

العنف الثوري شكل من أشكال العنف الذي يتخذ الكفاح المسلح وسيلة معارضة ضد نظام الحكم القائم فيعرقل مساره السياسي يأتي على شكل انقلاب أو عصيان أو تمرد من طرف رجال الحكومة أو الجيش الذي يؤثر في النهاية على كافة الشعب، ويأتي على شكل حرب الأهلية التي يقوم بها جانب من الشعب حيث تتحول الثورة إلى حرب داخلية.

العنف الاجتماعي: يعرف أيضا بأنه ذلك العنف الذي يتمظهر في شكل أفعال مفردة أو جماعية منعزلة تستهدف الأشخاص أو الجماعة والمؤسسات سواء كان الفعل ضربا أو سطوا، أو اغتصابا أو تكسيرا، أي أن العنف الاجتماعي يتمثل في أفعال الفرد أو الجماعة ضد الآخرين عن طريق الضرب أ و السطو، أو الاغتصاب أو التكسير.

وللعنف الاجتماعي أشكاله المتمثلة في : القهر الاجتماعي، العنف الأسري، العنف ضد المرأة.

3- العنوان:

3-1- مفهوم العنوان:

يعدّ العنوان مفتاحا رئيسيا هاما للولوج إلى أغوار النص وفك شفراته، فهو يساهم في توضيح دلالات النص والكشف عن المعاني الخفية فيه كما أنه الوسيلة التي تسهل على القارئ فهم المتن.

لقد استصعب الناقد الفرنسي "جيرار جنيت"Gérard Genette تعريف العنوان نظرا للإشكاليات التي تنتاب هذه البنية اللغوية إذ يقول: «إنّ تعريف العنوان ربما أكثر من أي عنصر من عناصر النص الموازي، يطرح بعض الإشكاليات، وبالتالي يقتضي طاقة تحليلية كبيرة» (خالد ، دت، صفحة 76) إذ يعدّ العنوان بنية لغوية مختصرة تتطلب من المتلقي جهدا كبيرا لفك شفرات هذه البنية من أجل الولوج إلى النص.

العنوان عتبة من عتبات النص الممتلك لبنية ولدلالة، لا تنفصل عن خصوصية العمل الأدبي. ولذلك فحينما يتم اعتبار النص مجموعة من العناصر المنظمة فإن العنوان الذي يعتبر جزءا من تلك العناصر. لا يُمَظهر فقط خاصية النص فالعنوان يتضمن العمل الأدبي بأكمله (الحجمري، 1996، صفحة 18) هذا ما ذهب إليه كتّاب الرواية والباحثين الذين اعتبروا العنوان مكونا أساسيا من مكونات الكتاب ككل (أشهبون، 2011، صفحة 13) وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على أهمية العنوان ومكانته بين عناصر العمل الأدبي.

3-2- أهمية العنوان:

اكتسب العنوان أهمية كبيرة في مختلف الأجناس الأدبية نظرا للدور الذي يقوم به في إضاءة النص. إذ لا يمكن لأي قارئ مهما كانت قدراته أن يغوص في عوالم النص وفك شفراته وحل ألغازه ومعرفة مقاصد مؤلفه دون امتلاك المفتاح، لذلك يجب على المتلقي أن ينتبه إلى عتبة العنوان لأنه قد «يخسر كثيرا إذا عبر إلى نص الرسالة أو العمل متجاهلا العنوان » (عبد الناصر ، 2002، صفحة 7).

وهذا ما جعل الدراسات النقدية الحديثة توليه أهمية حيث انتقل اهتمام النقاد به من مجرد تمثله كظاهرة نصية عابرة وعرضية، كما ساد في الدراسات النقدية (التقليدية) إلى الارتقاء به إلى مستوى أكثر تخصصا في نطاق ما صار يدعى بعلم العنونة

titrologie (أشهبون، 2011، صفحة 10)، إذ لم يعد الباحث يمرّ مرور الكرام على عتبة العنوان بل أصبح يتوقف عندها ويحاول استنطاقها قبل الولوج إلى أعماق النص، كيف لا وهو العنصر الذي يأخذ حصة الأسد من جهد الكاتب ووقته، ذلك أن اختياره بشكل يتلاءم وينسجم مع ما يسميه ليس بالأمر الهين.

فالمتلقي لا يمكنه أن يتجاوز عتبة العنوان إلى النّص، ونظرا لكون العنوان «مفتاحا أساسيا يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة بغية استنطاقها وتأويلها وبالتالي يستطيع العنوان أن يقوم بتفكيك النّص من أجل تركيبه عبر استكناه بنياته الدلالية والرمزية، و أن يضيء لنا في بداية الأمر، ما أُشكل من النّص وغمض» (حمداوي، 2011، صفحة 266).فقد اهتم به الأدباء وتفننوا في نسجه حتى يكون قادرا على الأخذ بيد المتلقي وجعله يفهم دلالات النص.

وهكذا أضحى العنوان موقعا نصيا جذابا، استقطب إليه العديد من الباحثين الذين خصوا أبحاثهم لمختلف مستوياته بدءا من "ليوهوك" الذي أثار الانتباه إلى خصوصية مفهوم العنونة بالإضافة إلى الأعمال الرائدة لكل من "كلود دوشي"، "جيرار جنيت"، "هوبير نيسان" وغيرهم (أشهبون، 2011، صفحة 17).

يمكن أن نقول أن أهمية العنوان تكمن في اقتناص انتباه القارئ وإثارة فضوله ليُقبل على المادة المعروضة لإشباع ذلك الفضول.

4- قراءة العنف في العنوان الروائي الجزائري:

إنّ أول عتبة يخطوها القارئ نحو النص هي عنوانه فهو بوابة العبور التي تمنح القارئ رخصة الدخول للنص واكتشاف محتواه ، وتنبثق أهمية العنوان في كونه «الكلمة أو الكلمات التي تختصر الكتاب بصفحاته ومجلداته و تعتصر جميع معانيه في تلك الأحرف التي ترقم على واجهة الكتاب» (شريف حاتم ، 1419هـ، صفحة 18).

فهو يحتل لوحده الصدارة ووسط بداية صفحة الغلاف الأولى أو أعلاها، متربعا بذلك الموقع التفضيلي على مركزها المشرق الأمر الذي يحيله إلى لوحة إشهارية مضيئة على صدر غلاف الرواية والهدف الضمني من ذلك هو اقتناص الأنظار، واستمالة القرّاء كما يؤهله هذا الموقع المتميز لكي يصبح سلطة عليا على كل الملفوظات الأخرى التي تشكل في تلاحمها وتكاملها وتناغمها، العناصر المكونة للعمل (أشهبون، 2011، صفحة 10) رغم أن الإشهار يُعدّ وظيفة من وظائف العنوان عند "جيرار جنيت" إلاّ أن هذه الوظيفة تظهر أهمية العنوان الذي يفتن المتلقي ويجعله ينجذب لقراءة النص، حيث أن أول ما يقع عليه القارئ عنوان العمل فيُثير فضوله ويحرك فيه شهوة قراءة ذلك العمل واستكشافه إذن فالعنوان هو الثريا التي تضيء فضاء النص وتساعد على اقتحام عوالمه لأن المتلقي يلج إلى النص من بوابة العنوان.

فالعنوان عدا عن كونه يشكل حمولة دلالية فهو قبل ذلك علامة أو إشارة تواصلية له وجود فيزيقي/مادي وهو أول لقاء مادي محسوس يتم بين المرسل (النّاص) والمتلقي أو مستقبِل النّص، ومن هنا يغدو العنوان إشارة مختزلة ذات بعد إشاري سيميائي(...) قد يفجر ما كان هاجعا أو ساكنا في وعي المتلقي أو لا وعيه من حمولة ثقافية أو فكرية يبدأ المتلقي معها فورا عملية التأويل (قطوس، 2001، صفحة 36)..

لقد شكل العنف تيمة رئيسة في كثير من الأعمال السردية الجزائرية، وذلك راجع للأزمات التي تعرضت لها الجزائر بدءا من أزمة الاستعمار الفرنسي وما ارتكبه من جرائم في حق شعب أعزل لا حول له ولا قوة إلى أزمة الارهاب الذي ألقى بظلاله على الشعب الجزائري بالإضافة إلى الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي عصفت بالجزائر وشعبها، كل هذه الأزمات كان لها تأثير كبير على المبدعين الجزائريين الذين أبو إلا أن يسخروا أقلامهم للتعبير عنها وتصوير مشاهد العنف والألم التي تعرض لها الشعب الجزائري فجاءت عناوين أعمالهم ناطقة بما كان يحدث من مجازر وقتل وتعذيب خاصة خلال العشرية السوداء التي كان لها بالغ

التأثير على الأدباء، ومن بين العناوين الروائية التي تطرقت لموضوع العشرية السوداء وصورت الجرائم البشعة المرتكبة في حق الشعب الجزائري والعنف المسلط عليه بكل فئاته رجلا ونساء، أطفالا وشيوخا وعجائز نذكر:

عنوان الرواية	الكاتب	موضوع الرواية
مراسيم الجنائز	بشير مفتي	تروي هذه الرواية أحداث الجزائر الدامية في العشرية السوداء حيث تطرق فيها الكاتب إلى العنف بين جناح الارهاب والاسلاميين والعسكر ، لقد استطاع الكاتب من خلال هذه الرواية تقريبنا من الواقع الأليم و العنف المسلط على المثقف و غيره من فئات المجتمع.
أشباح المدينة المقتولة	بشير مفتي	هي رواية صور فيها الكاتب اللحظات الفجائعية المؤلمة من تاريخ العنف في الجزائر.
الجنازة	رشيد بوجدرة	صور الكاتب من خلال هذه الرواية الأحداث الدامية خلال فترة الارهاب من خلال البطلة (سارة)التي دعتها ظروف الارهاب إلى الانضمام إلى فرقة مكافحة الارهاب.
الموت في وهران	الحبيب السائح	في هذه الرواية تتحول وهران إلى مكان تنمو فيه كل أنواع العنف ومظاهره، مما جعل منها مكانا ميتا تستحيل فيه الحياة
بيت من جماجم	شهرزاد زاغر	ترصد هذه الرواية جانبا من الواقع السياسي الجزائري المأساوي في فترة التسعينات، إذ تحكي حياة فتاة ريفية رحلت إلى العاصمة لممارسة مهنة الصحافة، محاولة نقل الحقيقة في زمن مصادرة الرأي أو حرية التعبير.
دم الغزال	مرزاق بقطاش	عايشت هذه الرواية الواقع المرير الذي مرت به الجزائر، إنه واقع الارهاب والمجازر الشنيعة.
السوط و الصدى	عائشة بنور	استقت الكاتبة موضوع روايتها من رحم المأساة الجزائرية خلال العشرية الدموية، مركزة على معاناة المرأة في تلك الفترة.

المتأمل في العناوين السابقة يستشف مدى العنف الذي تحمله ألفاظ تلك العناوين، فألفاظ (مراسيم الجنائز، أشباح، المقتولة، الجنازة، موت، جماجم، دم) ألفاظ مستقاة من قاموس المأساة والعنف، لجأ إليها الأدباء للتعبير عن بشاعة الجرائم التي كانت ترتكب في حق الشعب الجزائري والعنف الوحشي المسلط عليهم خلال العشرية السوداء.

الكاتب "بشير مفتي "وظف عبارة (مراسيم و جنائز) في عنوان روايته دلالة على الارهاب وما قام به من أحداث يندى لها الجبين في حق الشعب الجزائري «لقد أعطى الجنرال صرخة الديمقراطية للشعب...الديمقراطية في هذا البلد المغضوب عليه المسكون بجراحات الماضي وقهر السنين وعنف التاريخ وتراجيديا الحاضر وقمع السلطة وتدجين الأفواه و تكليل الأمجاد بالمراسيم والجنائز» (مفتي ، المراسيم و الجنائز ، 1998، صفحة 12)، فالشعب الجزائري لم يشف من الماضي الاستعماري، حيث تفتحت جراحه إثر مآسي العشرية السوداء، التي خيمت بضلالها على الشعب الجزائري الذي أصبح لا يرى غير مراسيم الجنائز أمامه نتيجة ما كان يحدث من جرائم قتل و تنكيل جعل من الجزائر مقبرة لأبنائها الأبرياء، حيث تفجر العنف في تلك الفترة ولم يجد الكاتب أحسن من عبارة (مراسيم الجنائز) للتعبير عنه «أحاول البحث عن جذور الأزمة.. إلى أين تعود.. محاولات في قراءة الماضي البعيد جدا اكتشاف مذهل ..العنف...العنف.. العنف.. لكن ما ذنبنا نحن أبناء الاستقلال لنعيش نفس الوضعية القديمة المتجددة، نحن درسنا في الجامعات لكي ننقذ البلاد ..لا لندمرها.. أطفال مشاغبون طردوا من المدرسة.. هم الذين صنعوا أكتوبر.. اليوم تجار الدم.. يصنعون ماذا؟ خراب الأرض . موت الانسان. ضياع القيمة» (مفتي ، المراسيم و الجنائز ، 1998، صفحة 49).

بلغت العمليات الارهابية ذروتها الدامية وهذا ما عبّر عنه عنوان رواية "أشباح المدينة المقتولة " فبمجرد قراءة هذا العنوان نستشعر مدى العنف الذي مورس على هذه المدينة وسكانها بما فيهم المثقف« كتب مقالا انتقد فيه المنقلب عليه ، والذي قاد الانقلاب، نشر المقال، وفي الغد جاءت السلطة السرية ، واعتقلته على الفور» (مفتي ، أشباح المدينة المقتولة ، 2012، صفحة 22) لقد استحالت المدينة إلى مكان مخيف غير آمن بسبب الارهاب وما قاموا به من مجازر بشعة صورها الكاتب من خلال اغتيال الصحفية "وردة سنان" التي كانت تعمل صحفية في جريدة مستقلة «سحبتها على السرير دون أن تبدي أي مقاومة ...بضربة واحدة من الخنجر فتحت رقبتها وسال دمها على جسمها، ولطخ ثيابي أنا كذلك ثم خرجت روحها، وهمدت أنفاسها، واستكانت لموتها»

(مفتي ، أشباح المدينة المقتولة ، 2012، صفحة 117)ما حدث لـ"وردة "حدث لكثير من أفراد الشعب الذين كانوا اذا خرجوا صباحا خرجوا مودعين غير متأكدين أنهم سيعودن مساء.

لا شك أن عنوان رواية الجنازة لـ"رشيد بو جدرة" كفيل بالتعبير عن قسوة الارهاب، فلفظة (الجنازة) تحيل مباشرة إلى الحزن والألم وبما أن الرواية تدور أحداثها حول المجازر الدامية التي قام بها الارهاب خلال العشرية السوداء فإن الجنائز التي حدثت كان مصدرها عنف الارهاب وبطشه.

كان الموت حليف الارهاب إذ وقعا معا وثيقة اتفاق بحيث أينما يحلّ الارهاب يحل معه الموت هذا ما أراد عنوان رواية "الموت إلى وهران" أن يشي به إذ أنه من العناوين التعيينية الوصفية فالروائي "الحبيب السائح" يعالج فاجعة الارهاب وما انجر عنها من آثار سلبية على الأسرة والمجتمع الجزائري برمته، يظهر من خلال عنوان الرواية أن الموت قادم إلى وهران باعتبار أن أحداث الرواية وقعت في هذه المدينة التي تحولت إلى مكان من نار ودم بدل أن تكون مأوى لبطل الرواية "الهواري" الذي اختار أن يدخل السجن بسبب قتله لـ"حسينة" بدل البقاء في الخارج لم تخل الرواية من مجازر الموت والقتل ويظهر ذلك في قول الكاتب: « أرتني عند باب الخروج ،قصاصة نبأ مقتله في انفجار قنبلة تقليدية كان هو واثنان آخران يزرعونها على جانب طريق عبور دوريات الأمن» (السائح، 2006، صفحة 28)،كان الإرهاب يترصد بكل فرد من أفراد المجتمع فقد كان كشبح الموت يتتبع فريسته أينما حلت ويقضي عليها.

لقد تجلى العنف بشكل جلي من خلال عنوان "رواية دم" غزال للكاتب "مرزاق بقطاش"، رواية المحنة وتجربة الموت التي يسرد فيها الكاتب أحداث تاريخية حول الوطن (الجزائر) في فترة العشرية الدموية وذلك من أحداث رعب وذعر ودم حتى الجنون، ورغم أن لفظة (الغزال) توحي إلى الحرية فإن كلمة (الدم) ترمز إلى العنف الذي كانت نتيجته مجازر وضحايا أبرياء كان ذنبهم أنهم أحبوا وطنهم لقد كان القتل وسفك الدماء فكرة متعارف عليها لدى الإرهابيين وهذا ما عبّرت عنه كلمة (دم).

إن العنف الذي تجلى في العنوان كان منبعه المتن الذي كانت له علاقة وطيدة بالعنوان حيث بث فيه كل المأساة التي عاشها كل فرد من أفراد الشعب نتيجة العنف الذي تعرض له، وسنحاول استجلاء هذا العنف من خلال رواية "السوط والصدى" لـ"عائشة بنور"، هذه الرواية التي ولدت من رحم المأساة الوطنية، أو ما يسمى بالعشرية السوداء التي خيّمت بظلالها على جميع فئات المجتمع فراح ضحيتها الرجال والشباب والنساء وحتى الأطفال.

إنّ أول ما تقع عليه عين القارئ عند قراءة رواية "السوط والصدى" لفظة السوط: والتي تعني كما جاء في لسان العرب: «خَلْط الشَّيْء بَعْضِه ببعض ،ومِنْهُ سُمِّيَ المِسْواط ،وساط الشَّيْءَ سَوْطا وسَوَّطَه: خاضَهُ وخَلَطَهُ وأكثر ذلك... ،والمِسْواطُ :ما سِيطَ به...وسُمِيَ السَّوْطُ سَوْطا لأنه إذا سِيطَ به إنْسَان أو دَابَة خُلِطَ الدَّمَ باللحْمِ ،وهو مشتق من ذلك لأنه يخلط الدم باللحم ويَسُوطُه» (ابن منظور، دت ، صفحة 2421).

أمّا لفظة الصدى: فتعني: « الصَّوْت، والصَّدَى: مَا يُجيبُكَ مِنْ صَوْتِ الجَبَلِ ونَحْوِه بِمِثْلِ صَوْتِكَ. قال تعالى: وَمَا كَانَ صَلاَتُهُم عِنْدَ البَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وتَصْدِيَةً قال ابن عرفة : التَّصْدِية مِنَ الصَّدَى، وهو الصَّوْتُ الذِي يَرُدُّهُ عَلَيْكَ الجَبَلُ».

تبين لنا من خلال الدلالة المعجمية أنّ السوط أداة تستعمل لضرب الدواب غير أن هناك من الطغاة من يستخدمها كأداة لضرب الضعفاء من البشر واذلالهم، أما الصدى فهو صدى ضربات السوط التي تكون أكثر إيلاما من ضربات السوط، فالاستماع لارتداد ضربات السوط يبث في نفوس الضعفاء الرعب والخوف والعجز عن درء تلك الضربات وذلك التعذيب.

رغم أن عنوان رواية "السوط والصدى" جاء عبارة عن جملة بسيطة غير مركبة، حيث جاء كل عنصر من عناصرها الأساسية كلمة مفردة السوط (خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو) وحرف العطف (الواو) واسم معطوف (الصدى)، إلاّ أنه جاء محملا بكل معاني العنف التي أرادت الكاتبة إيصالها إلى لمتلقي وذلك من خلال تركيزها على الخبر (السوط) وحذفها للمبتدأ المقدر

بـ(هو/ هذا)فبمجرد قراءة لفظة (السوط) يستشعر القارئ مدى العنف المسلط على شخصيات الرواية وخاصة المرأة التي كانت ضحية بشاعة الارهاب وبطشه.

اغترفت الكاتبة موضوعها من عمق المأساة الوطنية واصفة معاناة المرأة في تلك الفترة بسبب عنف ووحشية الإرهاب الذي رمى بشروره على الأوطان العربية، فجاءت الرواية معبرة عن ذلك العنف بدءا من العنوان الذي كتب وسط صفحة الغلاف باللون الأحمر دلالة على العنف والجرائم البشعة التي تعرض لها أفراد الشعب الجزائري خلال العشرية الدموية.

5- أشكال العنف في رواية السوط والصدى:

5-1- العنف المادي (الجسدي):

وهو العنف الذي يستهدف جسم الضحية إما بالجرح، أو الحرق، أو الضرب، لقد صورت الكاتبة هذا النوع من العنف من خلال ما حدث للمرأة خلال العشرية الدموية، حيث كانت ضحية اغتصاب وضرب الجماعات المسلحة أو الوحوش البشرية، ولقد جسدت ذلك من خلال الفتاة "سماح" وما قام به الارهاب ضدها. بالإضافة إلى المثقف الجزائري الذي كان هو الآخر مستهدفا من قبل الارهاب الذي قام بارتكاب أبشع الجرائم في حقه ،هذا المثقف الذي كانت جريمته الوحيدة أنه حمل القلم لنشر الوعي بين أفراد الشعب.

العنف المادي (الجسدي) المسلط على المرأة: ظهر هذا النوع من العنف ضد المرأة التي كانت المحور الرئيسي الذي تدور حوله أحداث الرواية، حيث تعرضت هذه الأخيرة إلى العنف الجسدي الذي مورس عليها من قبل خفافيش الظلام الذين لم يرحموا ضعفها ولم تؤثر فيهم دموعها وهذا ما حاولت الكاتبة تصويره من خلال سماح فـ"سماح" فتاة من فتيات الجزائر اللواتي تعرضن لعنف الارهاب الذي قضى على حياتها وجعلها سجينة ماض مليء بالدماء وحاضر تشع عينه بنظرات الاحتقار، فسماح «فتاة الشهادة وحلم الجامعة وسيدة المجتمع الراقي» (بنور ، 2006، صفحة 95)، تحطمت كل أحلامها يوم تم اختطافها من قبل الارهابيين الذين جعلوا منها وسيلة لإشباع رغبتهم الجنسية «لقد كنت بأثواب ممزقة وملطخة بدماء الاغتصاب» (بنور ، 2006، صفحة 95) لم يرحم الارهاب ضعف "سماح" ولم تحرك دموعها وتر الشفقة فيهم، فقد كانت بين أيديهم لعبة يتبادلونها بينهم «ستة ذئاب بشرية مزقت جسمي باسم السلطة والعرف والدين وألبستني حجاب الذل والعار» (بنور ، 2006، صفحة 100).

ما تعرضت له "سماح"من «طقوس الهيجان الجنسي جعلها رهينة الضياع والعار» (بنور ، 2006، صفحة 98) قلب حياتها رأسا على عقب وشتت عائلتها وهذا ما تصفه بقولها « أقعد أمي سجينة عيون الاتهام ، ومات أبي بفاجعة الواقعة، وحمل اخوتي سلاح الأمن وعيونهم تتطاير منهم شرارة الانتقام من بني جلدتي الذين نصبوا أنفسهم أوصياء الشريعة» (بنور ، 2006، صفحة 100) ما حدث لـ" سماح" كان سببا في تدمير عائلتها فأمها لم تتحمل اختطاف ابنتها واغتصابها، و والدها فضل الموت على أن يعيش وهو يحمل هذا العار، أما اخوتها فقد رهنوا حياتهم للانتقام.

وصفت الكاتبة وحشية هؤلاء البشر الذين كانوا بصفة حيوانات متوحشة «أنا سماح، وهذه وهيبة، وتلك نادية، وخديجة اغتصبن من قِبل رجال ..بل وحوش بشرية تأكل اللحم نيئاً.» (بنور ، 2006، صفحة 94).

وما يؤكد وحشية هؤلاء البشر قول الكاتبة «وكأن كلاباً مسعورة تمزق لحمها ...ولا أحد رقّ قلبه لوجعها وعذابها» (بنور ، 2006، صفحة 97) لقد تجردوا من الإنسانية التي قتلوها هي الأخرى ودفنوها في أجسام لا تعرف غير القتل وأفواه لا تنطق إلا بالموت وأيدي لا تعرف غير البطش.

العنف المادي المسلط على المثقف: جاء المثقف في الرواية على أنه عرضة لمختلف أنواع العنف والقمع الفكري والتعذيب والقتل «فكان الصحفي والرسام والكاتب والفنان وغيره من الفعاليات المثقفة عرضة للموت» (فريدة ابراهيم ، 2012، صفحة

23). فقط لأنهم حملوا على عاتقهم مسؤولية توعية الشعب بما يدور حوله من حقائق وهذا ما عبّرت عنه الكاتبة بقولها:« قتلوا مفكرين وأدباء، هم يحملون بندقية ونحن نحمل قلما؟هم يقتلون وأنا الآن أتكلّم، يعني قدمت أرائي وكتبي، فليناقشوني في كتبي، لكن هم لا يناقشون، هم يقتلون مباشرة » (بنور ، 2006، صفحة 45)، لقد كانت أفكار هؤلاء المثقفين سببا في قتلهم بدل أن تكون وسيلة لارتقائهم ورقي وطنهم وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على بشاعة الارهاب في تلك الفترة الدموية ، إذ أنهم كانوا يقضون على كل من يقف في طريقهم دون التفكير في نتيجة أفعالهم.

لقد طالت أيدي الارهاب من قال فيهم الشاعر: قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا. فالمعلم لم يسلم من بطش الذئاب البشرية حيث أنه تعرض هو الآخر إلى القتل فقد تناقلت «وسائل الإعلام خبر اغتيال إحدى عشرة معلمة ذبحاً، إحداهن كانت حاملا في شهرها الرابع، لم تشفع لهن صرخاتهن ونحيبهن و توسلاتهن الرحمة، وتركن يسبحن في بركة من الدماء» (بنور ، 2006، صفحة 10،11). ما ذنب هؤلاء غير أنهن حملن القلم وأردن تعليم أبناء هذا الوطن وإخراجه من الظلمات إلى النور لم يفكر ذلك الارهابي أن تلك المعلمة قد تكون معلمة ابنه التي سيرتقي على يدها ويشق طريقه إلى مستقبل زاهر.

لقد حاول الارهاب الشنيع القضاء على كل مصدر نور قد يضيئ الطريق أمام الشعب إما بالقتل أو غسل أدمغتهم وتسخيرهم لخدمتهم وهذا ما حدث للأستاذ رياض هذا الأستاذ الذي كان محل إعجاب "هند" لكنه تغير عما كان عليه وكأنه تعرض إلى غسل في الدماغ أو محو في الذاكرة على حد قول الكاتبة على لسان هند «لقد تحول مجرى النهر إلى مصب آخر، وأن رياض قد حدث معه تحول كبير وخطير في حياته، فكرا، وهيئة، وكأنني بالرجل لا أعرفه، ويبدو أنه أصيب بغسل في الدماغ أو محو في الذاكرة » (بنور ، 2006، صفحة 16).

لقد طالت وحشية من سمتهم الكاتبة بالذئاب البشرية كل فئات المجتمع حتى الأطفال لم يسلموا من عنفهم وبطشهم «كانت مضرجة بالدّماء، دماء أطفال ونساء و شيوخ، نساء مغتصبات،فتيات في ربيع العمر اغتصبن ونكِّل بأجسادهن الضعيفة ، لم أتكلّم ولم أسأل، لأنني كنت عاجزة عن السؤال، المنظر أكبر من السؤال، من الصدمة نفسها ومن الحقيقة التي خذلتني وأنا أسمعها وأراها بعيني» (بنور ، 2006، صفحة 94) .

2.5 العنف النفسي:

هو ذلك العنف الذي يقوم به الشخص القوي والمسيطر على الشخص الضعيف قصد إيذائه نفسيا.لقد عبرت الكاتبة عن العنف النفسي ضد المرأة خلال العشرية الدموية، فالمرأة هي من رملت وثكلت وفقدت الأخ والأب والصديق بسبب الإرهاب. لذلك نجد أن الكاتبة ركزت في روايتها على المرأة لأنها هي من تعرضت إلى بطش الإرهاب. كما أن الكاتبة لم تغفل الأطفال الذين كان لهم نصيب من تعذيب الإرهاب.

العنف النفسي ضد المرأة: لم تكن أثار الارهاب مادية فقط بل كان لها أثر على نفسية الضحايا الذين عاشوا بشاعة العنف الارهابي وذلّ العار بعده وهذا ما أرادت الكاتبة تجسيده من خلال روايتها "السوط والصدى"، لقد كانت المرأة ضحية الارهاب إذ أنه جعل منها وسيلة لإشباع رغباته غير آبه بآلامها وأحزانها، فجعلها محلّ احتقار وازدراء من قبل مجتمعها الذي نبذها واعتبرها جانية على عاداته وتقاليده التي كان يقدسها «هل العادات والتقاليد ترحمني وتسترني وتغلق أفواه النسوة، وتغمض عيون الهمز واللمز ،وتعلن الزغاريد في بيتنا ؟» (بنور ، 2006، صفحة 98) تعرض "سماح" للاغتصاب من قبل خفافيش الليل على حد تعبير الكاتبة جعلها تعيش عار فقدانها لعذريتها « تشرب فنجان القهوة الباردة بتأن، تنهمر من عينيها دمعتان حارقتان وتعض على شفتيها اليابستين وهي تخفي وجهها بين كفيها» (بنور ، 2006، صفحة 98). ما قام به الارهاب من جرائم ضد "سماح" وغيرها من نساء الجزائر خلف ضرارا نفسيا لا يشفى مهما طال الزمن.

العنف النفسي ضد الأطفال: لقد كان للإرهاب تأثير كبير على أطفال الجزائر الذين ضاعت طفولتهم أدراج الرّياح فما كان يحدث أمامهم من عنف وقتل وما كانوا يسمعونه من عند الكبار من مجازر أدخل في نفوسهم الفزع والخوف، فكانوا يعبرون عن تأثرهم بما كان يقع في الوطن من خلال أغانيهم التي مزجوها « بيومياتهم وأحلامهم المغتالة في برك من الدم القاني» (بنور ، 2006، صفحة 85) «لقد عبروا عن يومياتهم المغتالة، وأحلامهم المصادرة دون أن يستأذنوا، لقد أصبحوا سجناء الدم في فضاء أخضر» (بنور ، 2006، صفحة 85)..

دمّر الإرهاب حياة الأطفال فأصبحوا لا يرون غير لون الدم وأصبحت لغتهم عبارة عن بكاء كان لصوتهم صدى في أذن "هند". تقول الكاتبة على لسانها «وأنا على هذا الحال، مشدوهة البال إذا بنبرة صوت حزين قرب العمارة المجاورة تجتاح سمعي أنين طفلة ... انتفض جسدي كطير مذبوح، ارتعش لأنين الطفلة، كان لهذا الأنين أن يحملني خطايا الليل والنهار، ويعاقبني بدموع لم أستطع أن أحبسها » (بنور ، 2006، صفحة 87).

لقد تغيرت دنيا الأطفال وتحولت إلى سجن حالك الظلام كيف لا وهم من فقدوا الأم والأب والإخوة «لم جئت إلى هذا المكان الموحش؟ أبحث عن أمي وإخوتي، هنا ذبحوا، هنا » (بنور ، 2006، صفحة 87).

إن العنف الذي مورس على الأطفال من خلال ما جاءت به أحداث الرواية كان عنفا نفسيا انعكس في لعبهم وأغانيهم، فالطفل الجزائري عانى ويلات الارهاب فما كان يقع أمامه من مجازر قتل واغتصاب، وما كان يسمع عنه من أحداث خلف في نفسه آلاما وجروحا ربما لن تندمل أبدا لقد ظهر تأثر الأطفال بما كان يحدث أمامهم في حركاتهم وسكناتهم وحتى في لعبهم و« إذا بنبرة صوت حزين قرب العمارة المجاورة تجتاح سمعي،أنين طفلة، ترد د: بوحشيشة مات، خلاً أربع بنات وحدة عورة، وحدة تلتقط في الزعرورة، وواحدة تقول بابا مات ما خلانيش وين أنبات» (بنور ، 2006، صفحة 86) لقد كان الأطفال الأبرياء ضحية الإرهابيين الذين قضوا على طفولتهم وقتلوا البسمة من ثغورهم وأطفأوا البريق من عيونهم ،فأصبحوا لا يتحدثون إلا عن العنف ولا يرون غير الدم، ولا يسمعون سوى البكاء والصراخ والعويل.

6- عنف اللغة في رو اية " السوط و الصدى":

استطاعت الكاتبة "عائشة بنور" تجسيد مأساة الشعب الجزائري خلال العشرية الدموية من خلال توظيف لغة محملة بكل معاني العنف و الألم والبؤس، فجاءت معبرة عمّا كان يحدث من جرائم أصبحت بالنسبة لكل فرد من أفراد الشعب مصدر هلع وخوف أو بمثابة كابوس يراه في نومه ويقظته تقول "هند": «تداهم مخيلتي صور الأحداث المروعة ،صور الدم والعويل في كل مكان» (بنور ، 2006، صفحة 7).

إنّ توظيف الكاتبة للفظتي (دم وعويل) يثبت مدى العنف الممارس على الشعب في تلك الآونة. يظهر هذا العنف في مقطع آخر من الرواية تقول فيه الكاتبة: «اغتيالات في وضح النهار، طالت الصحفي والمثقف والشرطي، وتنوعت بين الذبح والاختطاف والاغتصاب الجماعي لفتيات في عمر الزهور ،كنا نبكي على من نعرف ومن لا نعرف ،ونتألم لاختطاف ذاك ،وغياب آخر » (بنور ، 2006، صفحة 10).

ما كان يعيشه المبدع الجزائري من أحداث مروعة انعكس على ألفاظه فجاءت عنيفة عنف تلك الأحداث والوقائع كيف لا وهو من كان ينام على دوي انفجار ويستيقظ على صراخ وبكاء نساء فقدن جزءا منهن، تعبر الكاتبة عن ذلك بقولها: «في كل ليلة ننام على دويّ انفجار قوي، وكل صبح نهض على بقايا أشلاء بقيت عالقة في ليل دامس، خلف الحيطان العالية» (بنور ، 2006، صفحة 10).

المتأمل في هذه المقاطع يلمس ويشعر عنف اللغة التي تحمله إلى بشاعة ما كان يقع من قتل واغتصاب واختطاف فمفردات:(الذبح، اغتيال، انفجار، دم، اختطاف) معبرة عن العنف والألم الذي كان يغط فيه شعب المليون ونصف المليون شهيد.

تبوح الأمثلة السّابقة بصورة العنف، التّي قضت على رؤوس الأبرياء، وزرعت الرّعب في نفوس الآخرين، فجزائر التسعينات كانت جزائر القتل والعنف والأزمة.

لقد جاء المتن الروائي محمّلا بألفاظ : الموت والقتل والجريمة، وهذا يدلّ على محنة الجزائر التسعينية، ففعل الموت لم يغب في رواية "السوط والصدى"، فغدى بذلك تيمة أساسية بارزة تعبّر عن فجيعة الوطن وسنين الجمر التّي عانى منها أبناء الشّعب لقد «أصبح الموت هو السيد والجاهل بأمور الدين والدنيا هو من يحاول السيطرة على المجتمع» (بنور ، 2006، صفحة 57).

لقد نقلت لنا الكاتبة من خلال روايتها مشاهد الموت الذي خيم على الجزائر فسجلت حادثة اغتيال احدى عشرة معلمة و معلم التي وقعت ببلدية عين آدن بدائرة سفيزف (سيدي بلعباس، يوم 27، سبتمبر 1997) أثناء عودتهم من العمل.

تبين لنا هذه الحادثة الموت الذي بات يتعرض له أبناء الوطن على أيادي الجماعات المتطرفة دون شفقة.

كما نقلت لنا أحداث الرواية نزوع أفراد المجتمع إلى الانتقام نتيجة لما كانوا يتعرضون له من عنف هذا ما جسدته الكاتبة على لسان "سماح" «حمل اخوتي سلاح الأمن وعيونهم تتطاير منها شرارة الانتقام من بني جلدتي» (بنور ، 2006، صفحة 100).

7- الخاتمة:

استطاع الروائي الجزائري التعبير عن معاناة الجزائر خلال التسعينات مجسدا من خلال عناوين أعماله مشاهد العنف التي كان يتعرض لها الشعب، فالعناوين السردية جاءت معبرة عن العنف الذي كان يحدث في تلك الفترة.

تشكيل العنوان لا يأتي عبثا أو من قبيل الصدفة، فمن خلال تركيبته وبنيته الدلالية يكشف عن قصدية الكاتب واختياره، ومدى حرصه على الربط بين دلالة العنوان بالنص.

تبين من خلال دراستنا لعنوان رواية "السوط والصدى " أنّ عملية اختيار العنوان لم تكن اعتباطية وإنما هي مقصودة إذ أنها تعد رسالة مشفرة بين الكاتب والمتلقي /القارئ لا يستطيع القارئ فك شفراتها إلا بتجنيد جميع معارفه ومهاراته.

- قائمة المراجع:

ابن منظور. (دت). لسان العرب، القاهرة، دار المعارف.

الحبيب السائح. (2006). الموت في وهران . القاهرة : دار العين للنشر.

بسام قطوس. (2001). سيمياء العنون، ، ط1، عمان ، الأردن، وزارة الثقافة ، مكتبة كتانة.

بشير مفتي . (1998). المراسيم و الجنائز، الجزائر، منشورات الاختلاف.

بشير مفتي . (2012). أشباح المدينة المقتولة، الجزائر، منشورات الاختلاف.

بن عارف العوني شريف حاتم . (1419ه). العنوان الصحيح للكتاب، مكة المكرمة، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع.

جميل حمداوي. (2011). السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق ،ط1، عمان، الأردن، مطبعة الوراق للنشر والتوزيع.

حسن محمد عبد الناصر . (2002). سيميوطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي، القاهرة ، دار النهضة العربية.

حسين حسين خالد. (دت). في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دب، دار التكوين .

حكيمة بلعسالة، فتيحة أيت حمود. (2011)، مظاهر وأسباب العنف في المجتمع الجزائري من منظور الهيئة الجامعية . فعاليات الملتقى الوطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف ،جامعة الجزائر 2، الجزائر.

رشـــدي شـحاتة أبو زيد. (2008). العنف ضـــد المرأة وكيفية مواجهته في ضـــوء أحكام الفقه الإســـلامي،ط1، الاســـكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

عائشة بنور، (2006). السوط والصدى، الجزائر، وزارة الثقافة.

عبد الفتاح الحجمري. (1996). عتبات النص البنية والدلالة،دب، منشورات الرابطة (الدار الرابطة).

عبد المالك أشهبون. (2011). العنوان في الرواية العربية، سوريا، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع.

ماجد الغرباوي. (2009). تحديات العنف، بيروت (لبنان)، العارف للمطبوعات .

موسى فريدة ابراهيم . (2012). زممن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية ،دراسة نقدية، الإصدار ط1، عمان (الأردن)، دار غيداء للنشر والتوزيع.

نبيلة بلعبدي ، (جوان ،2019). تجليات مظاهر العنف في الرواية الجزائرية المعاصـــرة رواية أشـــباح المدينة المقتولة لبشـــير مفتي نموذجا . التعليمية، المجلد 6، العدد 02.